كلمــة

فخامة الرئيس أحمد الشرع

رئيـس الجمهورية العربية السورية

يلقيها نيابة عنه

معالي السيد أسعد الشيباني

وزير الخارجية والمغتربين رئيس وفد الجمهورية العربية السورية

في الجلسة الافتتاحية
لمجلس جامعة الدول العربية على مستوى القمة
الدورة العادية (34)

بغداد - جمهورية العراق
السبت: 19 ذو القعدة 1446 هـ الموافق 17 مايو/أيار 2025م

—

بسم الله الرحمن الرحيم

أصحابَ الجلالةِ والفخامةِ والسمو؛

فخامةَ رئيسِ جمهوريةِ العراق، السيد عبدُ اللطيف رشيد؛

دولةَ رئيسِ مجلسِ وزراءِ جمهوريةِ العراق، السيد محمد شياع السوداني؛

معالي الأمينِ العامِ لجامعةِ الدولِ العربية، السيد أحمد أبو الغيط؛

أصحابَ المعالي والسعادة، السيداتُ والسادة؛

يشرفني أن أتحدثَ اليومَ أمامَ جمعِكم الكريم، محمَّلاً برسالةِ تقديرٍ ووفاءٍ من الشعبِ السوري، الذي -وإن أثقلته السنواتُ العجاف- لم تفترْ عزيمتُه، ولم تَهُنْ إرادتُه، بل ظلَّ متمسكًا بعروبته، مؤمنًا أنَّ البيتَ العربي، هو الملاذ، وهو الامتداد، وهو المصيرُ المشترك.

اسمحوا لي، في بداية كلمتي، أن أعبِّرَ عن بالغِ شكرِنا وتقديرِنا للدولةِ المضيفة، على ما لقِيناه من حفاوةِ استقبال، وكرمِ ضيافة، وتنظيمٍ رفيع، يعكسُ الأصالةَ والاهتمام، ويؤكدُ أنَّ ما يجمعُنا كأمة، ليس مجردَ جغرافيا مشتركة، بل تاريخٌ تليد، وهُويةٌ جامعة، ومصيرٌ واحد.

أصحابَ المعالي والسمو؛

لقد تابعنا جميعًا بإيجابيةٍ إعلانَ الرئيسِ الأمريكيّ "دونالد ترامب"، عن رفعِ العقوباتِ التي فُرضت على بلدِنا، وهو قرارٌ نراه خطوةً مهمة، في طريقِ التعافي الوطني، وإعادةِ الإعمار، ويعكس جهدًا دبلوماسيًّا عربيًّا صادقًا، أثمر عن نتائجَ ملموسة، وهنا لا يسعُنا إلا أن نخصَّ بالشكرِ والامتنان؛ المملكةَ العربيةَ السعودية، والجمهوريةَ التركية، على ما بذلتاه من وَساطةٍ فعَّالة، جاءت في لحظةٍ تاريخيةٍ مِفصلية.

كما نعبرُ عن بالغِ امتنانِنا لدولةِ قطر، ولدولةِ الإماراتِ العربيةِ المتحدة، والمملكةِ الأردنيةِ الهاشمية، ولدولِ مجلسِ التعاونِ الخليجيّ كافة، ولكل دولةٍ عربيةٍ وقفت إلى جانبِ سوريا في هذه المرحلةِ الدقيقة، فكانت مواقفُكم رسالةً واضحة، أنَّ عروبةَ سوريا لا تُختزلُ في موقعٍ جغرافي، بل هي جزءٌ أصيلٌ من وِجدانِ هذه الأمة، وإنَّ رفعَ العقوباتِ ليس نهايةَ المطاف، بل هو بدايةُ طريقٍ نأمل أن يكون معبَّدًا بالتعاونِ الحقيقي، وتكاملِ الجهودِ العربيةِ لتحقيقِ التنمية، وصونِ الأمنِ القوميّ العربي، وتعزيزِ الاستقرارِ في منطقتِنا.

أصحابَ المعالي والسمو؛

إن اجتماعَنا اليومَ على أرضِ بغدادَ الحبيبة، عاصمةِ العروبةِ الأصيلة، لهو فرصةٌ تاريخيةٌ لتجديدِ العهدِ بيننا كدُولٍ عربية، فمهما باعدتْنا الظروف، أو فرقتْنا السياسات، فإن ما يجمعُنا أكبرُ بكثيرٍ مما يفرقُنا.

وإنَّ الجمهوريةَ العربيةَ السورية، حكومةً وشعبًا، تنطلقُ في رؤيتها نحو عمقِها العربي، من إيمانٍ راسخ، أن وِحدتَنا العربية، ليست ترفًا سياسيًّا، ولا خَيارًا تكتيكيًّا، بل هي ضرورةٌ استراتيجية، وركيزةٌ أساسية، في بناءِ مستقبلٍ آمنٍ ومستقرٍ ومزدهرٍ لشعوبِنا جميعًا.

إنَّ سوريا اليوم، تُولد من رحمِ المعاناة، أقوى إرادةً، وأشدَّ عزيمةً، وأكثرَ إدراكًا لحجمِ التحدياتِ التي تواجهُها وتواجهُ أمتَنا جمعاء، فبعدَ سنواتٍ عجافٍ من القصفِ والدمارِ والتهجيرِ والحصار، لم نفقدِ الأمل، ولم يتسرَّبِ اليأسُ إلى قلوبنا، بل استطعنا -بفضل الله- استعادةَ حقوقنا، والوقوفَ صفًّا متراصًّا لبناءِ وطننا، متمسكينَ بمصلحتِه العليا، عازمينَ على استعادةِ الحياةِ في كلِّ بيتٍ وشارعٍ وقريةٍ ومدينة، وازددنا يقينًا وصلابةً بأن الانتماءَ إلى هذه الأمة، هو مصدرُ قوتِنا وعمقِنا الاستراتيجيّ الحقيقي.

إنَّ سوريا -التي دفعت ثمنًا باهظًا نتيجةَ سياساتِ نظامِ الأسدِ البائد، ومقاومةَ مشاريعِ التفتيت- تعودُ اليوم إلى حضنِها العربي، محمَّلةً بآمالِ شعبِها وتطلعاتِه، ساعيةً لترميمِ

الجسور، وتطهيرِ الذاكرة من جراحِ الانقسام، واضعةً نُصب عينيها بناءَ مستقبلٍ جديد، لا يُقصي أحدًا، ولا يعادي أحدًا، بل يفتحُ أبوابه لكل صوتٍ مخلص، ولكل يدٍ ممدودةٍ بالخير.

أصحابَ المعالي والسمو؛

لقد بدأت خطواتٌ جادَّةٌ نحو التعافي الوطني، انطلقت من إيمانٍ راسخٍ أنَّ "سوريا لجميعِ السوريين"، لا مكانَ فيها للتهميش، ولا للإقصاء. ولأولِ مرةٍ في التاريخ، خاضتْ سوريا تجربةً وليدةً لحوارٍ وطنيٍ جامع، يستوعبُ التنوع، ويضمنُ التمثيل، ويصونُ الكرامة.

كما نجحنا في تشكيلِ حكومةٍ شاملة، تعكسُ الإرادةَ الشعبية، وتترجمُ معاناةَ المواطنِ السوري إلى قراراتٍ عادلة. كما نواصلُ العملَ الجادَّ لكشفِ مصيرِ المفقودين، وتحقيقِ العدالةِ الانتقالية، لأننا نؤمن أن لا مصالحةَ دونَ إنصاف، ولا سلمَ أهليَّ دونَ كشفِ الحقيقة. والآنَ؛ نضعُ اللمساتِ الأخيرة، لانطلاقِ العمل، لأجلِ برلمانٍ وطنيّ، يمثلُ كلَّ الطيفِ السوري، ولدستورٍ دائمٍ يُكرّسُ الحقوق، ويصونُ السيادة، ويؤسسُ لدولةِ القانون، لا لدولةِ الفوضى.

أصحابَ المعالي والسمو؛

إنَّ تمسُّكَنا الثابتَ بسيادةِ سوريا ووحدةِ أراضيها، ورفضَنا القاطعَ لأيِّ تدخلٍ خارجيٍّ في شؤوننا الداخلية، أيًّا كان شكلُه أو مبررُه، لهو حقٌّ أصيل، ومبدأٌ راسخ، لا يقبل المناورةَ أو المفاوضة، كما أن حقَّ الشعبِ السوريّ في تقريرِ مصيره، وصوغِ خَياراتِه الوطنية، لا يجبُ أن يكونَ مَحِلَ نقاشٍ أو مساومة، فالسيادةُ ليست شعارًا فقط، بل هي جوهرُ الدولة، ومعنى استقلالِها، وأساسُ عَلاقاتها مع غيرها.

وإنَّ أيَّ مشروعٍ يهدفُ إلى إضعافِ الدولةِ السورية، أو اقتطاعِ جزءٍ من أراضيها، تحتَ أيِّ ذريعةٍ كانت؛ أمنيةٍ أو إثنيةٍ أو طائفية، أو يدعمُ مجموعاتٍ انفصاليةٍ خارجةٍ عن

القانون، لهو مشروعٌ مدانٌ ومرفوضٌ رفضًا قاطعًا، لا من قِبلِ الحكومةِ فحسب، بل من الشعبِ السوري بأكملِه، بكافة انتماءاتِه ومكوناتِه، فسوريا الجديدةُ لجميعِ أبنائِها، ولا مكانَ فيها لمشاريعِ العزلِ أو التفرقةِ أو التمييز.

نقولها بوضوحٍ ودونَ مواربة:

سوريا لا تقبلُ وَصاية، ولا ترضى بأن تكونَ ساحةً لصراعاتِ الآخرين. نحن نريدُ علاقاتٍ متوازنة، قائمةٍ على الاحترامِ المتبادل، لا على الإملاءات. نرفضُ أن نكونَ في محورٍ ضدَّ محور، أو طرفًا في استقطابٍ عربي. نحملُ المحبةَ لكلِّ دولةٍ عربية، ونؤمنُ أنَّ الخلافاتِ مهما طالت، فإنها لا تقطعُ وشائجَ الدم، ولا تمحو ذاكرةَ التاريخ.

وفي هذا السياق، فإننا نثمّنُ كلَّ خَطوةٍ عربيةٍ صادقةٍ ساهمت في كسرِ العزلة، وفتحِ أبوابِ الحوار، ورفعِ العقوبات، وهي خُطواتٌ تُعبرُ عن وعيٍّ تاريخي، وتحمُّلٍ للمسؤولية، لأن سوريا القوية، هي ركيزةُ الأمنِ العربي، وسوريا المستقرة، هي ضرورةٌ ومصلحةٌ للجميع.

أصحابَ المعالي، السيداتُ والسادة؛

نجتمع اليومَ وسوريا لا تزالُ تواجهُ تحدياتٍ جسيمة، تمَسُّ جوهرَ استقرارِها، وتهددُ وِحدتَها، وتفتحُ أبوابَها لتقاطعِ الأجندات، وتنازعِ المصالحِ على أرضِها. وحتى بعدَ تحريرِ سوريا في الثامنِ من كانونَ الأول، فما تزال سوريا تدفعُ ثمنًا باهظًا، نتيجةَ تدخلاتٍ خارجية، وصراعاتٍ داخلية، وتواجهُ اليومَ أطرافًا لا يعنيها أمنُ السوريين ولا مستقبلُهم، بل تعملُ على توظيفِ المأساةِ السورية، لخدمةِ مشاريعِها الخاصة.

أولُ هذه التحديات، هو استمرارُ نشاطِ بقايا تنظيمِ "داعش" في بعضِ المناطق، حيث يُعادُ تدويرُهم واستغلالُهم من قبلِ قوًى خارجية، لا تسعى إلا لإدامةِ الفوضى،

واستخدامِ الإرهابِ كأداةٍ للابتزازِ السياسيّ والضغطِ الأمني، في انتهاكٍ صارخٍ لسيادةِ الدولةِ وللقانونِ الدولي.

أما التحدي الأخطر، فيكمنُ في ما يُحاكُ في الخفاءِ من محاولاتٍ ممنهجة، لتفكيكِ المجتمعِ السوري، وزرعِ الفتن، وضربِ النسيجِ الوطني، الذي تماسك عبر قرونٍ من التعددِ والتنوع، فنشهدُ اليومَ دعمًا لتشكيلاتٍ انفصالية، ومشاريعَ طائفيةٍ وقومية، تسعى إلى تقويضِ مؤسساتِ الدولة، وإضعافِ مركزِها، وبثِّ الشكِّ في هُويةِ سوريا الواحدةِ الجامعة.

هذه ليست مجردَ تحركاتٍ عابرة، بل جهودٌ مدروسةٌ لجرِّ البلادِ إلى صراعٍ أهليٍّ طويلِ الأمد، يمزقُها إلى كياناتٍ متنازِعة، ويُفقدُها مقوّماتِها التاريخية، كدولةٍ ذاتِ سيادةٍ وعمقٍ حضاري. وما يُرادُ لسوريا ليس سوى نموذجٍ للتفتيت، يلبّي طموحاتِ المحتلينَ وأعداءِ الأمة، ويقوّضُ مرتكزاتِ الأمنِ القوميّ العربي.

إننا، في مواجهةِ هذه التحديات، نطالبُكم اليومَ أكثرَ من أيِّ وقتٍ مضى، بالتمسكِ بدعمِ وحدةِ سوريا أرضًا وشعبًا، والعملَ على دعمِ جهودِ الحكومةِ السوريةِ الجديدة، ورفضِ كلِّ أشكالِ التدخلِ والتقسيم، حمايةً لمستقبلِ سوريا، وصونًا لهُويَّتِها الجامعة، وصيانةً لاستقرارِ المنطقةِ برمتها.

أصحابَ المعالي والسمو؛

أعبّر عن موقفِ بلادي الثابت، إزاءَ التهديداتِ والانتهاكاتِ المتواصلة، التي يتعرضُ لها الجنوبُ السوري، لا سيما من قبلِ الجانبِ الإسرائيلي، الذي ما فتئَ يكررُ عدوانَه على السيادةِ السورية؛ عبرَ غاراتٍ تستهدفُ مواقعَ داخلَ الأراضي السورية، في خرقٍ صارخٍ للقانونِ الدولي، ولأبسطِ مبادئِ ميثاقِ الأممِ المتحدة.

إن هذه الاعتداءاتِ الإسرائيلية، المتكررةِ والممنهجة، لا تهددُ فقط الأمنَ في الجنوبِ السوري، بل تشكلُ تهديدًا مباشرًا للاستقرارِ الإقليميّ ككل، وتفتحُ البابَ واسعًا أمامَ التصعيد، في وقتٍ نحنُ أحوجُ ما نكونُ فيه إلى تهدئةٍ شاملة، تحفظُ الأرواح، وتصونُ السيادة، وتمنعُ التدخلاتِ الخارجيةِ في شؤونِنا الداخلية.

إن الجمهوريةَ العربيةَ السورية، تؤكدُ التزامَها التام، باتفاقيةِ فصلِ القواتِ لعامِ 1974 (ألفٍ وتِسعمئةٍ وأربعةٍ وسبعين)، تلك الاتفاقية، التي ما تزالُ تشكلُ أساسًا قانونيًّا، لضبطِ الحدودِ في منطقةِ الجولانِ المحتل، ومِظَلَّةٍ لضمانِ حدٍّ أدنى من الاستقرارِ في تلكِ المنطقةِ الحساسة.

إننا نؤمنُ أن الحفاظَ على أمنِ الجنوبِ السوري، هو جزءٌ لا يتجزأُ من أمنِ سوريا ووحدةِ أراضيها، وأن استمرارَ الاعتداءات، يهددُ كلَّ مساعي التهدئةِ والاستقرارِ في المنطقة، ويفتحُ البابَ أمامَ مزيدٍ من الفوضى، ليس في سوريا فحسب، بل في عمومِ المنطقة.

نحن في سوريا، نمدُّ أيدينا لكلِّ الأشقاءِ العرب، ونتطلعُ إلى موقفٍ عربيٍّ موحَّدٍ في وجهِ هذه الانتهاكات، وإلى دورٍ عربيٍّ فعَّالٍ في دعمِ حقِّ سوريا، في استعادةِ سيادتِها الكاملةِ على كافةِ أراضيها.

أيها الإخوة؛

إننا اليوم، أكثر من أي وقتٍ مضى، نُدرك بحسٍ عميق، ومسؤوليةٍ وطنيةٍ جسيمة، أن المصالحةَ الوطنيةَ لم تعد خيارًا مؤجلاً، بل باتت ضرورةً ملحة، وأولويةً لا تحتملُ التأجيل، وأنَّ السلمَ الأهليَّ هو الركيزةُ الأولى لبناءِ المستقبل. لقد آنَ لهذا الشعبِ الأبي، الذي دفع من دمِه وأحلامِه ثمنًا باهظًا، أن يحيا في ظلِّ الأمنِ والاستقرار، وأن يقطفَ ثمارَ صمودِه وصبرِه. إننا لا نسعى لإطالةِ أمدِ الصراع، بل نطمحُ إلى انتصارٍ حقيقيٍّ للسلام، سلامٌ يطوي صفحةَ الألم، ويفتحُ أبوابَ الرجاء. لا نريد غلبةَ فئةٍ على أخرى، ولا استئثارَ طائفةٍ أو عرق، بل نؤمنُ أنَّ الوطنَ لا يُبنى إلا بوحدةِ جميعِ أبنائه، بتكاتفِهم

وتسامحِهم، وتجاوزِهم لجراحِ الماضي، من أجل أفقٍ مشترك، تُصان فيه الكرامة، وتُحترم فيه التعددية.

ونحن إذ نضع أسسَ هذا المستقبل، فإننا لا نغفلُ عن نبضِ القلب العربي، الذي يخفقُ اليوم في غزةَ الجريحةَ المحاصرة، المنكوبةَ تحت القصف، التي تقف ببطولةٍ في وجهِ آلةِ العُدوان.
إن نداءَ غزة، نسمعه بين ضلوعنا، ونراه في عيونِ أطفالنا، ونعرف تمامًا أن من لا يحزن لغزة، لا قلبَ له، ومن لا يغضب لها، لا ضميرَ عنده. لقد آن لمنطقتنا أن تنعمَ بالسلام، ولشعوبنا أن تحيا بالكرامة. آن للدمِ العربي، أن يكفَّ عن الهدر، وللبوصلةِ أن تعودَ إلى اتجاهها الصحيح.

أيها السيدات والسادة؛

سوريا، كانت وستبقى، جزءًا من قلبِ هذه الأمة، وهي اليوم، تمدُّ يدها إليكم، من منطلقِ الشراكةِ والمسؤولية، والرغبةِ في بناء مستقبلٍ يليقُ بتاريخنا، ويصونُ أوطاننا، ويُحقق طموحاتِ شعوبنا.

لقد أنهكتنا الحروب، واستنزفت مقدّراتِنا الأزمات، وأضعفت كياننا العربي الانقساماتُ والتجاذبات. فما عدنا نملك ترفَ الانتظار، ولا رفاهيةَ الانشغالِ بالخلافات، على حسابِ حاضرِ شعوبنا، ومستقبل أجيالنا.

ومن على منبر هذا اللقاء العربيّ الموقّر، نوجّهُ نداءً صادقًا، مسؤولاً، ينبع من ضميرِ أمتنا ويعبّرُ عن تطلعات شعوبنا:
كفى صراعاتٍ تُفرّق، كفى تمزقًا يُضعف، كفى غيابًا يُقصينا عن بعضنا البعض، ويزيد من عزلتِنا، في عالمٍ لا يعترفُ إلا بالأقوياء المتّحدين.

آن الأوانُ لأن نرتقيَ فوقَ الجراح، ونتجاوزَ الخلاف، ونتّحدَ من أجلِ بناءِ مستقبلٍ جديدٍ لأمّتنا، مستقبلٍ يليقُ بعراقتها، ويستجيبُ لطموحاتِ شعوبها، ويعيدُ لها دورَها الفاعل في صناعةِ التاريخ، لا الوقوفَ على هامشه.

وختامًا؛

نتوجّهُ بخالصِ التهنئة، وأصدقِ عباراتِ التقدير، إلى جمهوريةِ العراقِ الشقيق، قيادةً وحكومةً وشعبًا، على نجاحِ أعمالِ القمةِ العربية التي استضافتها العاصمةُ بغداد، بكل كفاءةٍ واقتدار. وإذ نباركُ هذا النجاح، فإننا نؤكدُ دعمنا لكلِّ جهدٍ مخلصٍ يسعى إلى تعزيزِ التضامنِ العربي، وترسيخِ دعائمِ الأمنِ والسلامِ في منطقتنا.

وفق الله الجميعَ لما فيه خيرُ أوطانِنا وأمتِنا.

وشكرا لحسنِ استماعكم..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته